

كتب الجرح والتعديل

بما أن الحكم على الحديث صحة وضعفًا مبنيًّا على أمور، منها عدالة الرواية وضبطهم، أو الطعن في عدالتهم وضبطهم، لذلك قام العلماء بتصنيف الكتب التي فيها بيان عدالة الرواية وضبطهم منقوله عن الأئمة المعدلين الموثقين، وهذا ما يسمى بـ "التعديل" كما بينوا في تلك الكتب الطعون الموجهة إلى عدالة بعض الرواية أو إلى ضبطهم وحفظهم، منقوله أيضاً عن الأئمة غير المتعصبين، وهذا ما يسمى بـ "الجرح" ومن هنا أطلق على تلك الكتب "كتب الجرح والتعديل".

وهذه الكتب كثيرة ومتنوعة، فمنها المفردة لبيان الرواية الثقات، ومنها المفردة لبيان الضعفاء والمحروجين، ومنها كتب لبيان الرواية الثقات والضعفاء. ومن جهة أخرى فإن بعض هذه الكتب عام لذكر رواية الحديث، بغض النظر عن رجال كتاب أو كتب خاصة من كتب الحديث، ومنها ما هو خاص بترجمة رواية كتاب خاص أو كتب معينة من كتب الحديث.

هذا ويعد عمل علماء الجرح والتعديل في تصنيف هذه الكتب عملاً رائعاً مهماً جباراً؛ إذ قاموا بمسح دقيق لترجمة جميع رواية الحديث، وبيان الجرح أو التعديل الموجه إليهم أولاً، ثم بيان من أخذوا عنه، ومن أخذ عنهم، وأين رحلوا، ومتى التقوا بعض الشيوخ، وما إلى ذلك من تحديد زمنهم الذي عاشوا فيه بشكل لم يسبقوا إليه، بل لم تصل الأممال المتحضرة في هذا العصر إلى قريب مما صنفه علماء الحديث، من وضع هذه الموسوعات الضخمة في ترجمة الرجال ورواية الحديث، فحافظوا على مدى الأيام التعريف الكامل برواية الحديث ونقلته، فجزاهم الله عنا خيراً.

وإليك بعض الأسماء لهذه الكتب:

- 1- التاريخ الكبير، للبخاري، وهو عام للرواية الثقات، والضعفاء.
- 2- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، كذلك هو عام للرواية الثقات والضعفاء، ويشبه الكتاب الذي قبله.
- 3- الثقات، لابن حبان، كتاب خاص بالثقة.
- 4- الكامل في الضعفاء، لابن عدي، وهو خاص بترجمة الضعفاء، كما هو ظاهر من اسمه.
- 5- الكمال في أسماء الرجال، لعبد الغني المقدسي. كتاب عام، في الثقات والضعفاء، إلا أنه خاص برجال الكتب الستة.
- 6- ميزان الاعتدال، للذهبي، كتاب خاص بالضعفاء والمترؤكين "أي كل من جرح وإن لم يقبل الجرح فيه".
- 7- تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر، ويعد من تهذيبات كتاب "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" وختصراته.
- 8- تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر، وهو اختصار لكتاب "تهذيب التهذيب" للمؤلف نفسه.

مراتب الجرح والتعديل

لقد قسم ابن أبي حاتم في مقدمة كتابه "الجرح والتعديل" كُلًا من مراتب الجرح والتعديل إلى أربع مراتب، وبين حكم كل مرتبة منها، ثم زاد العلماء على كل من مراتب الجرح والتعديل مرتبتين، فصارت كل من مراتب الجرح والتعديل ستًّا، وإليك هذه المراتب مع ألفاظها:

1- مراتب التعديل وبعض ألفاظها:

أ- ما دل على المبالغة في التوثيق، أو كان على وزن أفعال. وهي أرفعها، مثل: فلان إليه المنتهى في التثبت، أو فلان أثبت الناس.

ب- ثم ما تأكَّد بصفة أو صفتين من صفات التوثيق: كثافة ثقة، أو ثقة ثبت.

ج- ثم ما عُيِّرَ عنه بصفة دالة على التوثيق من غير توكيد، كثافة، أو حجة.

د- ثم ما دل على التعديل من دون إشعار بالضبط: كصدق. أو محله الصدق، أو لا بأس به، عند غير ابن معين؛ فإن "لا بأس به" إذا قالها ابن معين في الراوي، فهو عنده ثقة.

هـ- ثم ما ليس فيه دلالة على التوثيق أو التجريح، مثل: فلان شيخ، أو روى عنه الناس.

و ثم ما أشعر بالقرب من التجريح: مثل: فلان صالح الحديث، أو يكتب حدثه.

2- حكم هذه المراتب:

أ- أما المراتب الثلاث الأولى فيتحج بأهلها، وإن كان بعضهم أقوى من بعض.

بـ- وأما المرتبة الرابعة والخامسة، فلا يحتاج بأهلهما، ولكن يكتب حديثهم ويختبر¹، وإن كان أهل المرتبة الخامسة دون أهل المرتبة الرابعة.

دـ- وأما أهل المرتبة السادسة فلا يحتاج بأهلها، ولكن يكتب حديثهم للاعتبار فقط، دون الاختبار؛ وذلك لظهور أمرهم في عدم الضبط.

3- مراتب الجرح وألفاظها:

أ- ما دل على التلبيين: "وهي أسهلها في الجرح" مثل: فلان لين الحديث، أو فيه مقال.

بـ- ثم ما صرَّح بعدم الاحتياج به وشبَّهه: مثل، فلان لا يحتاج به، أو ضعيف، أو له مناكير.

جـ- ثم ما صرَّح بعدم كتابة حديثه ونحوه: مثل: فلان لا يكتب حديثه، أو لا تحل الرواية عنه، أو ضعيف جداً، أو واهٍ بِمَرَّةٍ.

دـ- ثم ما فيه اتهام بالكذب ونحوه: مثل: فلان متهم بالكذب، أو متهم بالوضع، أو يسرق الحديث، أو ساقط، أو متزوك، أو ليس بثقة.

هـ- ثم ما دل على وصفه بالكذب ونحوه: مثل: كذاب، أو دجال، أو وضع، أو يكذب، أو يضع.

و ثم ما دل على المبالغة في الكذب "وهي أسوؤها" مثل: فلان أكذب الناس، أو إليه المنتهى في الكذب، أو هو ركن الكذب.

4- حكم هذه المراتب:

أ- أما أهل المرتبتين الأولىين فإنه لا يحتاج بحديثهم طبعاً، لكن يكتب حديثهم للاعتبار فقط، وإن كان أهل المرتبة الثانية دون أهل المرتبة الأولى.

بـ- وأما أهل المراتب الأربع الأخيرة، فلا يتحج بحديثهم، ولا يكتب، ولا يعتبر به.